وجهتي نظر للتطور ؟

تأليف: هيقو مقورد

لقد بدأ عصر جديد في العلاقة بين الكتاب المقدس والعلم عند صدور كتاب « أصل الأجناس » الذي أصدره شارلس داروين عام ١٨٥٩. هذا الكتاب الذي خلق فرق عالمي: قبل عام ١٨٥٩ كان معظم العلماء تقريبا يعتقدون أن الكون مرتب بحالة جيدة جدا من قبل الخالق. ومنذ عام ١٨٥٩ بدأ معظم العلماء يتحولون تدريجيا معتقدين أن الكون تكون بمجرد صدفة.

١. التطور العضوي

لدى المتحف البريطاني في لندن أبرز معرض لمجموعة من الكتب الشهيرة. ومن بين تلك المجموعة كتاب شارلس داروين المشهور مع ملاحظة ان: «شرح داروين للكيفية التي تتطور بها الكائنات الحية المختلفة التي أحدثت ثورة فعالة في وجهة نظر العالم في عالم الطبيعة.» رفض المؤمنون بنظرية التطور « أن الله هو الخالق » وقبلوا الطبيعة (غير معروفة الأصل) هي التي طورت الإنسان تدريجيا من أصل حيواني.

تكيف بالصدفة

أن نسمي أختيار الطبيعة « قانون » هو تملق لها. أن الذي يحدث في لحظة مصادفة برمته لا يمكن أن يسمى « قانون » وإنما « صدفة ». أكثر من ذلك، حتى لو امكن للطبيعة تفسير عملية البقاء للاقوى، لا تزال الحاجة إلى مساعدة لشرح كيف ولماذا حدثت مختلف التطورات المفضلة للتطور بالصدفة: أوتار العظلات والغدد اللمفاوية والمعدة والرئتين ذات الموضع الأستراتيجي أو الدماغ (من طبيعة لا دماغ لها) المثال من الفيلسوف الأنكليزي هنري مور في القرن السابع عشر لا يزال قابل للتصديق: « لماذا أسناننا الأمامية حادة كأزميل القطع، والذين يؤمنون بالحياة بالصدفة لا يمكنهم الإجابة على هذا السؤال.

يوجد أي دليل على أن أي نبات أو حيوان عبر خط الجينات. بعض التعديلات حدثت على الجينات، والتزاوج حسر خارج الجينات. لو أن الطبيعة تتحكم بكل الأ شياء، سيتمكن البغل يوما ما من التكاثر. عقم البغال مؤشر لإثبات قوانين الطبيعة، وليس التكييف بالصدفة.

إما حاصل الذرة أو قدوم القمر على البشر أن يخططوا بكل عناية. على أي حال يتمسك أغلب العلماء اليوم بذلك، بدون أي مخطط تخلق الطبيعة المجردة من العقل الحياة بالصدفة. علما أن بعض الملحدين من اهل نظرية التطور لم يحاولوا أثبات ذلك « هل يمكننا أن نؤمن أن العالم الحي هو نتيجة لتجمع الأخطاء؟ أني أعترف أني أكتشفت أن الإجابة على هذ السؤال المرعب صعبة ».

التحولات الأساسية

يعتقد البعض أن عقيدة دارون عن (الطفرة في الطبيعة) سوف تخفت بدون أي تعزيز من هوكو دي فريز، عالم النبات الألماني ودراساته عن الطفرات الأساسية للجينات.حيث أظهرت التحريات أن بين جميع الأجناس (ليس الفصيلة أو النوع أو العائلات) قد حصل فيها تحولات أساسية.أنتعش الأمل في هذا النقص الأساسي في نظرية دارون كان قد جهز. حاول داروين شرح كيف أن الإختلافات تتلائم مع

حياة الحيوان بعد كونهم هنا ولكن لم يكن له معرفة عن كيف وصلت.كان أملا أن تكون الدلائل من الأختلافات في الجينات ستبين كيف أن العوائل المختلفة للنباتات والحيوانات جاءت.

حصلت خيبة الأمل عندما كشفت البحوث أن بين الطفرات التي تكون (دائما صغيرة وضئيلة)، خط الأنتاج ليس متقدما بأتجاه تحسين الأجناس. بدلا من ذلك، أن الطفرة في الجينات عادة ما تكون مؤذي، ان لم يكن حاسما. أكتشاف دي فيريز إذن، لم يكن كافيا لدعم النظرية الداروينية. وأن البعض يظن بفشل النظام.

حتى تعبر الطفرات خط «الأنواع» وحتى يظهر تحسنات في الأجناس تبقى رابطة ضعيفة في دعم التطور العضوي. في الحقيقة، يصبح التطور غير مثبت. أحد المؤمنين بالتطور كتب في أحدى المرات، «ليس لنا الحق في أن نقبل التطور بكل تأكيد» وأضاف:

> أنه حقيقة أن ليس لا ماركيزم [وراثة الصفات من البيئة، وليس بالطفرة الجيني] ولا لتحول يمكننا من فهم ميكانيكية التطور؛ يجب أن نملك الشجاعة لندرك اننا لا نعرف شيئا عن تلك الميكانيكية.

الشواهد غير المقنعة للتطور أنعكست في تسمية جين روستاد. تحدث عن الفترات في التطور مثل «تعدد الأصول»، «وقلة الأصول»، «عدم الأصول». كلماته الكبيرة تقول بكل بساطة أنه كان في وقت من الأوقات الكثير من التطور في الطبيعة؛ وبعد ذلك القليل؛ والآن لا شيء يحدث على الأطلاق.

أكثر من ذلك، بالرغم من أن الشخص يمكنه أن يتصور رقبة الزرافة تنمو طويلاً بطفرة لتكون مفيدة، العديد من الأعضاء لا يمكنها أن تنتظر الآلاف من الطفرات. ليس مثل عملية الأستطالة «البسيطة» في الرقبة، يفرض العديد أن التغيرات هي مجرد طبيعية وأن عليهم أن يقوموا في جيل واحد وإلا سيموت الجنس. العملية الميكانيكية في شبكة العنكبوت ليست قطعة أختيارية من المعدة، ولا فم عرقي لفخ الذباب. ولا الأعضاء التي تعيد الأنتاج لأي مخلوق. لو لم تعمل هذه الأعضاءبكل دقة في جيل واحد، لا يمكن أن يكون هناك جيلا آخر.

> من أجل أن نستوعب هذه الصعوبة على الشخص أن يتصور أن تلك الأعضاء أو المجموعة المعقدة من الأعضاء في واحد من ثمانية أو واحد من ستة عشر من الطفرات. على الشخص أن يدرك عدم أحتمالية الأنتاج التصادفي في وقت واحد أن المجموعة برمتها في شكل العمل. ومع ذلك جميع المجموعة أن تقدم في نظام لأي قسم منها ليعمل.

عندما يمسك اليعسوب على الجرادة ويلسعها، التطور العضوي يلسع أيضا. الطعام لذرية اليعسوب يعتمد على ذلك العضو الذي يلسع الجرادة. أطفالها لا يمكنها الأنتظار للآلاف من المساعدات من الطفرات لتكسب وتكمل عضو لسعها. الجرادة الملسوعة تبقى على قيد الحياة ولكن بدون شعور. ثم تقوم أنثى اليعسوب بدفن الجرادة وتضع بيوضها بجانبها. تبقى الضحية المشلولة في مكانها تنظر كي تصبح طعام لأبناء اليعسوب غير المولودين بعد والذين لن تراهم الأم أبدا، لأنها تغطي الحفرة وترحل قبل أن يلد أولادها. على أم اليعسوب أن تقوم بهذه العملية في أول جيل – وفي كل جيل – لكي يستمر الجنس في الوجود.

المشروع الهائل

بعد نشر نظرية داروين مباشرة، أنفقت الحكومة البريطانية الكثير من النقود على رحلة بحرية لمدة أربعة سنين بالسفينة تشالنجر.أبتدأت الرحلة عام ١٨٧٢، فتش طاقم السفينة قعر المحيط بحثا عن الحلقة المفقودة من أجل إثبات نظرية التطور. أعتقدوا أن الفجوات في قاع المحيط، لن تتغير خلال القرون وإنها ستكشف ما لا يحتويه سطح الأرض: مثل المتحجرات الحية أو الحلقة

الحقيقية المفقودة لا تزال في الوجود. في ذلك الوقت. كان الطموح الأكثر في محاولة التنقيب في قاع المحيط. أبحر طاقم من علماء الطبيعة مع مختبرا عائما لمسافة ٦٩٠٠٠ ميلا بحريا، سجلوا مئآت الأصوات وملئوا خمسون مجلدا لكتابة مكتشفاتهم، وكان لكل من ثوماس هكسلي من أنكلترا والعالم الطبيعي الكبير السويسري المولد لويس أغاسيز كل الثقة في عمل ذلك. «في البداية تجمع الجميع وحتى الخدم لرؤية مايحمله الحبل الذي بطول أربعة أميال من العمق.» تدريجيا، أصفر لون المنقبون. وحتى أعضاء الطاقم العلمي بدأوا بالذهول، وخاصة عند وصول الشباك في وقت الغداء. عصروا كل الحبار الذي في الشباك لرؤية فيما لو كان هيكلها يختلف عن الحبارالعادي. أصيب السيد جالرس تومسون مدير الرحلة الأستكشافية بخيبة أمل بعد أربعة أعوام. الشيء الوحيد الذي أثبته المشروع هو أن بعض الحيوانات القليلة كانت لا تزال موجودة في الطبيعة حيث كان المعتقد إنها أنقرضت وأنها موجودة بشكل متحجرات فقط؟

التباين مع الكتاب المقدس

المؤمنون بالكتاب المقدس أدركوا مسبقا أن التطور العضوي والأسفار المقدسة على طرفي نقيض. التطور ينحدر بالإنسان إلى أصل حيواني ولكن الكتاب المقدس يقدم الإنسان مخلوق مباشر من تراب الأرض (تكوين ٢: ٧). يعتقد المتطورون أن زوجة الإنسان من أصل حيواني، في حين جعل منها سفر التكوين مخلوقة من ضلع الرجل (تكوين ٢: ٢٢). ترى نظرية التطور أن وصول الإنسان إلى ماهو عليه نتيجة لإعادة تكاثر الحيوانات، في حين يرى الكتاب المقدس أن الحيوانات تنتج النوع نفسه (تكوين ١: ٢١ و٢٥). ترى نظرية التطور الإنسان كحيوان راقي، في حين يرى الكتاب المقدس أن الإنسان مخلوق على صورة الله ولكن بدرجة أقل قليلا من الملائكة (سفر التكوين ١: ٢٦ و٢٧؛ مزمور ٨: ١-٥). يتمسك المؤمنون بنظرية التطور بأن الإنسان يموت بالكامل، ولكن كتاب الله جعله خالداً (تكوين ٥: ٢٤ متى ١٠: ٢٨). تصف نظرية التطور أصلا مجهولا لكون غير مقاد، في حين يصف الكتاب المقدس مخطط فعال لخالق خطط وقاد المخلوقات (تكوين ١: ١-٥).

لذا التناقض في الموقعين، أصبح من المستحيل الإيمان بالتطور العضوي وأيضا الإيمان بخلود الروح وبوجود الله. أدعى العالم في علم الحيوان الألماني آرنست هيكل «لو كان قد أثبت أن الإنسان قد تطور من مجموعات من الثديات الأخرى، يفقد الإيمان بخلود الروح وحرية الإرادة والإيمان بالله آخر سند له». أكد جوليان هكسلي أن في تطور الحياة لا يوجد «مكان للوكالة فوق الطبيعة». وكتب الاستاذان ج. وليم ستوفال وهوارد ي. براون «السبب والعملية الحقيقية للتطور العضوي» لا تزال غير واضحة المعالم «ولكن الحقيقة لا تحتاج إلى المزيد من الجدل». لاحظ الرقة في قولهم: أستعمال كلمة «الحقيقة» تترك أنطباعا أن عملية التطور تعمل ولكن بصورة غير مرئية، وأستعمال كلمة «لا تزال» تعطي أنطباعا أن التقدم قد تم وأن الغموض سيتلاشى في أي لحظة .كتب الأستاذ هدسون هوكلاند مايلي «أن التطور البيولوجي بأختيار الطبيعة ليس بعد الآن نظرية ولكن أحتمال عالي بحيث أن الجدل من عدم صلاحيته أصبح بلا جدوى» كم هو الفرق كبيرا بين هذا القول وبين ما قاله الأستاذ هنري م. مورس: «ليس هناك أي شخص يشارك الدلائل، لا في العلم ولا في الأسفار المقدسة في صلاحية التطور».

٢. نظرية التطور عند الموحدين[١]

التسوية

جرت محاولات من أجل توافق التطور مع الكتاب المقدس بتأكيد أن خليقة الله جاءت

[١] التوحيد: الإيمان بوجود الله.

إلى الوجود من خلال عملية التطور. وهذه ما يسمى التطور عند الموحدون «هذا النظرية أصبحت مشهورة عند أولئك الذين يتمسكون بالكتاب المقدس وكذلك مواكبة حدس التيار العلمي. مثل هذه التسوية تبدو مستحيلة.

لو أن عملية التطور قد أنتجت بطريقة غير مقادة تأخذ الطبيعة منهجها من الكون، عندئذ تكون وصية الله لا داعي لها. لو أن الإنسان تطور ويموت بالكامل وليس سوى حيوان عندئذ ليس هناك مكان لتعاليم الخطية والكفارة. قال أوليفر لوج، «تعلمنا من العلماء أنه ليس هناك سقوط للإنسان ولكن هناك سمو.» حيوان متطور يستحق الأطراء؛ لا حاجة إلى الأضاحي. بما ان الوحش لا يمكن أن يخطيء، لذا لا حاجة للدين برمته لو أن الإنسان لم يخلق على صورة الله ولكن بصورة قرد. التطور يعتمد على سياسة «القوي يأكل الضعيف» بقاء الأقوى، ولكن المسيحية تعتمد على الحب من شخص يموت نيابة عنا جميعا.

«التطور الموحد» متناقض. مثل وضع الله كحائط صد خلفي في تطور بدون تصميم والتطور الحدثي مستحيل مثل الحديث عن أنسان أمين وغير أمين في الوقت نفسه. بموجب تطور الموحدين، الله هو المسبب والمؤسس ثم ترك الكون يسير لوحده ليأخذ مجراه. تلك العملية التي تصف الذي لا عقل له، بالرغم من أن الله هو مؤسس النظام. المؤمنون بالتطور من الموحدين لا يتكلمون بلغة صادقة عن الفرصة التي لا عقل لها، حادثة في الطبيعة أو نزوة في الجينات. أنهم لا يتصورون الحيوانات يرضعون من آدم وحواء ولكنهم يتحدثون عن التطور المنبثق «خليقة التقدم» أو «الخليقة العلمية».

إستسلام الملحدين

الذين حاولوا جعل الله مؤسس المتغيرات التي لا هدف لها ومنتج الصدفة لم يساعدوا الإلحاد الحقيقي. في جعل الله الأساس في اصل عشوائي، الحياة بالصدفة غير ممتدح جدا. مثل هذه النظرة تصور الإنسان على أنه مخلوق أقل بقليل من الملائكة، ولكن كمخلوق جاء كبواقي لعملية التجربة والخطأ. بعد ملايين السنين من أحداث الصدفة، لم يكن الإنسان مخلوق مباشر من قبل الله وعلى صورته، ولكنه مخلوق حدث محظوظ. التطور الحقيقي ليس له مكان لروح الإنسان حسب رأي المؤمنون بالتطور، أن الكون كامل المكنكة. وقد تم تقرير ذلك بشدة من الناحية المادية والنفسية. تخيل الصورة للإنسان من ناحية: الإنسان هو كما يجب أن يكون عليه. المواد الكيماوية تشكل دماغ المتدين هي التي تقرر أفكاره. لن تكون لديه الحرية، وليس له أهداف بشرية. وأنه لم يأتي أبدا ولكن بالصدفة وبتغير جينات الحيوان الذي جعلت منه إنسانا.

كم كان محظوظا أن التغييرنفسه الذي قيل أنه جاء بالرجل إلى الوجود حدث بصورة معاصرة لذلك الحدث ليأتي بالمرأة إلى الوجود أيضاً! وحسب نظرية التطور التي يؤمن بها الموحدون أن آدم وحواء كانا قد تحولا بطفرة وولدا من حيوان.

من وجهة نظر أخرى، كان شيئاً حسناً أنه كان هناك طفرات أساسية أنثوية عجيبة في زمن آدم؟ الدينونة والأنقراض المطلق (لا يؤمن المتطورون بما بعد الحياة) أليس أفضل للإنسان لو لم يوجد؟ كيف يمكن للمادة الميتة أن تتطور إلى حياة وأن يكون لها أي وحي؟ هل تدخل الله أخيرا، ووضع هدف في الحياة وفي التطور، وأخذ إلى السماء من تلقاءنفسه ابن الحيوان، بقايا نزوة؟ هل يؤمن الموحدون المؤمنون بنظرية التطور بالسماء؟ لو إنهم كذلك، فهذا رغماً عنهم. وليس بسبب أي شيءآخر في عقيدة التطور.

لم يكن لوديجج فيرباخ (١٨٠٤-١٨٧٢) صديقا للمسيحيين ولكنه كان إنسانا له وجهة نظر: «مايدعى اليوم ملحدا سيكون غدا مؤمنا متدينا» الملحدون والمؤمنون بالتطور هم أصدقاء المرحلة منذ بداية حدسهم. الآن وفي أوقاتنا الراهنة أصبح بعض المتدينون مؤمنون بنضرية التطور، ليس لهم مكان توقف في هذا الجانب من الإلحاد. النية في

أكثر الدين هو الإلحاد الديني – التعارض في الفقرات، ولكن تحقيق لتوقع فيرباخ.

الواحد أو الآخر

المؤمنون بنظرية التطور سواء كانوا (ملحدين أو مؤمنين) والكتاب المقدس على تضارب. المحاولات لوضع قائمة بنقاط اتفاق بين الالذين يؤمنون بالتطور والكتاب المقدس تخدم فقط لخلق الأرتباك في المناقشات. مثل هذه المحاولة موجودة في هذه المقالة: «كلا من سفر التكوين وعلم الحيوان بدأ من لاشيء أومن فراغ وكلاهما تقدما من السهل إلى الأصعب، ووصل كلاهما إلى الذروة مع الإنسان.» المقالة على أي حال ساذجة وأفكارها مجرد آمال. يقول أهل نظرية التطور إن الحشيش نبت على سطح الأرض بعد ٣٠٠ مليون سنة وتكون من الطحالب والسرخسيات في حين بدأ الكتاب المقدس الحياة مع الحشائش مباشرة (تكوين ١: ١١-١٣).

وفي الواقع ان الطريقة الوحيدة لتوافق نظرية التطور مع الكتاب المقدس هو بتغيير الكتاب المقدس. وقد تمت محاولات بهذا الخصوص. وتمت اعادة كتابة نسخة جديدة لسفر التكوين بحيث ان فكرة قصة آدم وحوا لا تتماشى مع نظرية التطور. جعل الدكتور براون پاپلين من جامعة دورهام وعضو كنيسة أنكلترامن آيته بهذا الأسلوب «لذا تطور البشر ذكورا وأناثا من حيوانات ذو رتبة عالية بقوة روح الله» وقام بعمل تغيير آخر: «وقال الله لتكون المادة والطاقة من الذرات ولتتحد الذرات وتتكثف لتكوين السوائل والمواد الصلبة ولتتطور الكواكب والنجوم إلى الملايين، وكان كذلك».

أمل خاطئ

بحث داروين في الأرض والسماء والبحر – آملاً في الحصول على «الحلقة المفقودة» بين الإنسان وسلفه الحيوان. في باتاكونيا وهي مقاطعة في جنوب الأرجنتين، عثر دارون على قبيلة بدائية جدا من الهنود، وأعتقد أنه ليس لهم أي إحساس بالصح والخطأ ان كان هؤلاء بشرا (وحتى الآن ليس لديه أي تحيز أخلاقي) سيكونوا مثالا للحلقة المفقودة بين الإنسان والحيوان، سمع آلن كاردينر عن الأستعمال الذي قام به دارون لهؤلاءالهنود. وكان كاردنر ضابطا متقاعدا في القوة البحرية، ومنظما للجمعية التبشيرية في جنوب أميركا وأنتقل بنفسه من أنكلترا إلى باتاكونيا. ولم يعش ليرى الجيل الجديد من الهنود الذين تحولوا من قتلة إلى مهتدين ولكن الذين جاؤا من بعده أثروا أخيرا في ثورة أخلاقية بين الهنود بعد أن علموهم عن الله. أعترف داروين بالدهشة والتقدير. وأرسل للجمعية تبرعاً وطلب منهم أن يجعلوا منه عضو شرف.

كون غير متطور

حدس آخر للعلم الذي أظهر معارضة للتطور. أن فكرة التطور والتقدم في الكون لا تتوافق مع الفكرة الحديثة للكون الذي بدأ يتلاشي. قارن الكون مع ساعة ءتعبأ باليد، حيث لا يمكنها أن تعبيء نفسها. بدأت النجوم تدريجيا ولكن بصورة موجبة بالأحتراق وأطلاق طاقاتهم في الكون. الكون المتحلل. الطبيعة الآن بدلا من أن تشهد تطورا تتعرض للإنحلال. لو أن الطبيعة تسير في إتجاه واحد فقط، وذلك بإتجاه التبديد، من الصعب أدراك كيف أن أي نوع من التطور (ملحد أم مؤمن) يمكن إدامته.

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧